

إبداع المرأة بين الخصوصية والسؤال ..

أ. د. بشرى البستاني

هل سلّم النقد المعاصر عموماً بما طرحه النّقد النسوي في الغرب من وجود خطاب أدبي / إبداعي أنثويّ تنتجّه المرأة حاملاً سمات خاصةً بالأنوثة ، وان هذا الخطاب يمكن أن يحمل في جملته ما يميزه عن أدب الرجل الذي يتسم بدوره بسمات خاصة هي سمات الذكورة والقوة . ؟ وهل يمكننا من خلال ذلك عدّ إبداع المرأة مختلفاً عن إبداع الرجل ، أو مناقضاً له ، أو مقدماً لصورة أنثوية وحياتية تختلف عن الصورة التي رسمها خطاب الرجل لها وعن الحياة عبر التّاريخ ، وأسئلة أخرى كل سؤال منها سيّتيح فضاءات عدة لأجوبة تتعدد بتعدد قرائها ، وتتنوع أنواع المنطلقات التي تصدر عنها تلك القراءات ، فكل جواب بالإيجاب سيكون عليه حوار من الطرف الآخر يمانع ويبرهن ، أو يتفق ويدلّل ، لكن ما يهمنا في هذه القضية هو أن مجرد توجه المرأة بالخطاب هو شروع بالتححرر من أغلال الصمت الذي فرضته اشتراطات عدة وليس الرجل وحده ، فكثيراً ما نجد الرجل أو شرائح متعددة من الرجال يدخلون في دائرة الاضطهاد

ذاتها حين تكون منظومة الاستبداد واحدة ، لكن ما وقع على المرأة من أعباء كان أشدّ قسوة بحكم ظروف لا تخفى على الدّارس ، ظروف بدأت مناهضتها بجديّة مع بداية النهضة العربيّة وما صحبها من وعي على الأصعبه كافه ، حيث أمسكت المرأة بالقلم وراحت تشكل حالة من الثورة على الواقع باتجاهين ، الأول ثورة على الذات التي اعتادت الخوف والرضوخ والتبعية ، والتوجس ، ذلك ان اختيار الحرية مسؤولية كبرى يتطلب وعيها تواشج شروط ذاتية وموضوعية معا ، والثاني ثورة على منظومات القيم التي عملت على التغييب والإقصاء وعلى إبعادها عن مراكز الفعل وميادين صنع القرار ، حين أسند الرجل إليها الجانب العاطفي ، وكبلها بمسؤوليات الخدمة الأسرية ، مما ألحق بها أضرارا اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية ، وبالتالي أضرارا سيكولوجية لا حصر لها .

وهكذا ، مع إمساك المرأة بالقلم بدأت عملية كسر الحواجز التي منعتها وتمنعها من التواصل وديمومة الفعل ، فالكتابة إفضاء والإفضاء تعبير عن امتلاء وثراء ، وذلك أول مفاتيح الحل ، والكتابة هوية وديمومة وخطاب ، والخطاب سلطة ، والسلطة حضور بقوة ، وإملاء لأوامر كانت مسكوتا عنها ، والسلطة صوت ، وهذا الصوت بالنسبة للمرأة كان في طي الكتمان خشية أو رهبة أوتقية ، والصوت إفصاح وعلامة وكشف عن الذات ، إنه الهوية وقد تجلت ، والكلام وقد انبثق من أعماق الغياب مذضاع حضورها زمن اكتشاف الزراعة حيث استقرت

الأسرة بعد طول رحيل مع الصيد ، وحيث قسم النظام الذكوري الأدوار فاختار لنفسه صنع القرار السياسي والاقتصادي ، ومنحها الدور العاطفي متمثلاً بالأومومة وخدمة البيت الذي يتزعمه الرجل ، ومن هناك بدأت عملية حجبها عن الحياة العامة كما بدأ تغييبها لتظل الأنظمة التقليدية المتسلطة أحقاباً منفردة بالتخطيط للحياة وصنعها والتشريع لها وكتابة تاريخها ، وظلت الأنثى هي التابعة المتلقية بصمت ، وإن حضرت فمن وراء حجاب .

لكن هل استطاعت المرأة أن تقول كل شئ بالكتابة ، وكيف يكون لها ذلك بعد طول منع ؟. وبعد تقليدها وحدها حمل وسام شرف الرجل والأسرة والعشيرة وحتى القبيلة وإلى هذا اليوم ، من خلال ازدواجية فكرية - سلوكية تفهم الشرف فهما ذرائعياً يبعده عن مزاياه الأصلية في النبل وشرف الفعل والعطاء .

لعل الكتابة كانت أكثر رافة بالمرأة لما تمتلكه الكتابة الأدبية من قدرة على الإخفاء والمواربة والترميز واللبس والتغيب ، بحيث تقول ما تشاء دون أن يمسك عليها أحد يقينا ، فقد سبق للمرأة عبر التاريخ أن قطع لسانها وعوقبت بالحجر والطلاق والإقصاء بسبب ما قالت من شعر أو نثر ، وحتى في العصر الحديث وجدنا عددا من الكاتبات الأوربيات والعربيات يكتبن بأسماء مستعارة أو بأسماء رجال كما فعلت جورج صاند

وجورج اليوت ، وكما فعلت بنت الشاطئ كذلك ، احترازا من الإشكاليات التي يمكن الوقوع بها لدى التصريح بأسمائهن .
كان ذلك في البداية ، وبعدها تجرأت الكثيرات على البوح ثم التصريح بما كان يصعب التصريح به ولا سيما فيما يخص الايروسية والجسد وما يتعلق به من تفاصيل .
مرة أخرى ، هل يختلف أدب المرأة عما يكتب الرجل من أدب ؟ وإذا اختلف فأين يكمن اختلافه في اللغة والأداء والتشكيل أم في المضامين والطروحات ؟
يكاد يجري الاتفاق على أن المرأة أقدر على التعبير عما يخصها من موضوعات بيولوجية وأنثوية فيما يتعلق بجسدها ووظائفه وبأحاسيسها وسيكولوجيتها ، أما البنية التركيبية للأدب ، فهي تتعلق بما سمّاه رومان جاكوبسن : محوري الاختيار والتأليف ، إذ يختار كلُّ من المرأة والرجل مفرداتهما من اللغة لبناء النص الأدبي وتشكيله كلُّ حسب اشتراطات ذاتية تمليها عليه طبيعة موهبته وثقافته ومعارفه وذوقه الفني وطباعه ومدى سعة رؤيته الفنية والحياتية والجمالية معاً ، وكيفية النظم التي يتبناها في تشكيل كل ذلك ، وهذا الأمر يتسع ليشمل جميع المبدعين نساء ورجالا ، وإذا كانت الطبائع تتفاوت ما بين الشفافية والقوة والتوازن ، فإن السمات النصية ستختلف كذلك بين الشفافية والقوة والتوازن حتى لدى الجنس الواحد من المبدعين .
أما أهل نظرية التناص فقد اختصروا الأمر من خلال إيمانهم

بأنّ النص ما هو إلا نتاج ما تداخل مع بعضه من نصوص قديمة أو محايشة للنص الجديد ، سواء كانت هذه النصوص مكتوبة بأقلام نساء أم رجال ، ويحكم النص في عملية التداخل هذه حسب جوليا كرستيفا شرطان ، الامتصاص والتحويل للنصوص القديمة بحيث لا يكون النص الجديد نسخا لها ، مجردا من الإبداع ، بل لا بد للنصوص المتداخلة هنا من التحوار والمحاكاة والاختلاف للخروج بنص جديد ليس له من القديم غير المثيرات ، وإذا كان كل نص أنثوي أو ذكوري هو هذا التداخل المتواشج من نصوص لأزمان وحوادث ووقائع كانت من نتاج نساء ورجال مختلفين ، فمن الصعب اذن تأشير سمات حاسمة للتفريق بين أدب المرأة وإبداعها ، وأدب الرجل وإبداعه ، لكن يبقى ما يتعلق بالجانب العاطفي والمشاعري الذي قد يتفوق لدى المرأة على عواطف الرجل قوة وتدقفا أحيانا ، والذي يعلله النقد النسوي بطبيعة التنشئة أو التربية المغايرة التي تتلقاها الأنثى من قبل الأسرة ومؤسسات الذكورة التي توجه المجتمع ، وليس طبعا في بنيتها التكوينية .

وعلى أية حال ، سيظل هذا الموضوع مطروحا للنقاش ما دامت المختبرات التشريحية واللغوية والنقدية والنفسية لم يجر فيها ما يحسم الأمر في دراسات معمقة وكشفية وتحليلية وإحصائية وموازنات تطرح القضية بشكل علمي ، وحين يصح ما يطرحه المختبر التشريحي اليوم من كون تشكيل الخلايا الخفية للرجل صندوقية بمعنى أنها تتشكل من ملفات ، يختص كل

ملف بقضية أو بقضايا مؤتلفة المضامين تختلف عن قضية الملف الآخر ، بينما تتشكل الخلايا المخية للمرأة شبكيا مما يجعل التواشج لديها سمة خاصة وأصيلة ، سيكون الجسم في موضوع خصوصية إبداع المرأة أمرا متاحا ، لأن التعبير لا بد منبثق عن مصادر التحسس ، انفعالا واستقبالا وبتأ ، وسواء جرى هذا الأمر في وقت قريب أم بعيد ، أم لن يحدث أصلا ، فإن ما تكتبه المرأة وكثيرا مما يكتبه الرجل في هذا الخصوص ، سيظل أدبا يشتغل في واحد من حقلين ، أنثويا يتجلى في حقل الجمال بوصفه مبحثا فلسفيا ، او في حقل النسوية بوصفها مصطلحا سياسياً حاول بتطرف فصل الثنائية الأساسية في الخلق والحياة وكثيرا ما عدها ثنائية اختلاف بينما هي بطبيعتها الإنسانية ثنائية ائتلاف وحوارية حب وثناء ، وما سوى ذلك لن يصنف الا في الحيادية والسكون ، على أن ما يجمع الإبداع الذي ينتجه الاثنان ، هو تلك الاشتراطات التي لا يكون أو يتشكل إبداعاً إلا بها ؛ من مواهب وقدرات تشكيلية فنية وثناء معارف وإتقان بناء ونظم ، وهو ذلك التوجه الإنساني والتطلعات النبيلة التي تحرص على حماية حلم الإنسان من الانكفاء ، وحماية روحه النقية من الانكسار ، ففي هذا الجانب لن يختلف أدب المرأة عن أدب الرجل في أطروحاته حين تكون القضية اكبر من قضية ذكورة وأنوثة ، بل هي قضية الإنسانية المفتقدة في ظروف عدوانية تسحق الجميع بلا استثناء ، وتحرّض الإبداع الحقيقي لدى الأطراف كلها على التحدي وتفعيل روح

المقاومة والتواصل .

أمّا من يريد البحث عن الفروق والسمات الخاصة فإنه سيجدها حتى لدى المبدع الواحد بين عمليين من أعماله أو مرحلتين من مراحلهِ ، وإذا كانت نظريات القراءة ومعها التأويل قد انفتحا على الآفاق الرحبة فتعددت الدلالات بتعدد رؤى القراء ، فإن قضية خصوصية أدب المرأة وإبداعها ستظل بؤرة جذب ، وسيظل البحث في هذا الموضوع محور إثارة ولبس وانفتاح على تعددية الآراء والآفاق ، وذلك من أهم ما يحرص عليه الإبداع الأصيل .

العراق / جامعة الموصل

تموز / ٢٠١١

مُخاطبات حواء

٢٠٠٨-٢٠٠٠

الإهداء

إلى د. بتول البستاني

وسع السماء....

فكنْ على أيّ مذهب شئت ، فانك لا تجدُ إلا
التأنيثَ يتقدم ،
حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحقَّ علةً
في وجود العالم ،
والعلةُ مؤنثة ، وأما حكمةُ الطيب وجعله بعد
النساء ،
فلما في النساء من روائح التكوين ،

ابن عربي

فصوص الحكم ١ / ٢٢٠

موسيقى

فجأةً يسقطُ الثلجُ في الصلاةِ المقلَّعةِ ..
فجأةً تتداعى الغيومُ ،
تسدُّ النوافذَ ،
لحنٌ أخيرٌ يرفُّ على الشرفِ المطفأةِ ..
أمدٌ ذراعِي
أمسكُ ما يتناثرُ من نُدفِ النَّغمِ
الشمسُ تومضُ ،
تنفتحُ النافذةُ ...
فجأةً ...
وترفُّ البلايلُ ،
يهدرُ موجٌ عصيٌّ ،
وتهفو الغصونُ ،
تغادرُ رُوحِي قُصبانها ...

فجأةً ،
يتداخلُ بحرٌ بأفقٍ ،
وأرضٌ بنهرٍ
تدور الصحارى ،
وأصعدُ ،
أصعدُ ...
حتى التلاشي ...

مخاطبات حواء

وكنْتَ تَفْتَحُ بِأَصَابِعِ اللّهِبِ صَدْرِي
وتلقِي فِيهِ بِالْكَلمَةِ ..
قلتَ :

يا رهينةَ المحسِينِ خذيني
أَدْخِلْ مَلَكُوتَ مَحْبِسِيكِ
ليصيرَا أَرْبَعَةَ
ونصيرَ دَاخِلِ الأربعةِ وَاحِدًا
الوجدَ ، وَأَنَا .
والأغْنِيَّةُ ،
وَأَنْتِ ..

**

وقلتَ ..

مطفأةٌ عيونِ التَفَاحِ

فلا تهزّي الشجر
ومحترقةٌ جذورُ الأغنيةِ ،
فلتوقظي الجرحَ ،
قبل أن تنام السكينُ . . .

**

وقلتَ ..

لا تنامي
فقد شبّت النيرانُ في السررُ
وهبّ الملائكةُ مذعورينُ .

**

وقلتَ ..

أشعلي النارَ في البوادي
كي أستطيعَ
إطفاءَ الكونِ المشتعلِ
بين ذراعيكِ
يا امرأةً تشتعل في حضن الكونِ ..

**

وقلت لي ..
قطا الحزن يقاتُ عشب الذاكرةُ
قطا الحزن يغوصُ في رمل الروحِ
ثمّ ينكفي ببركة دمّ
فافتحي لروحك روحي ..
كي تتسع أروقة الكون ..

**

وقلت ..
كي ينتظم النذفُ
يجب أن تحمدَ النارُ
ولكي يتوقف ..
يجب أن يضطرمَ الحريقُ

**

وقلت ..
إذ تبرقُ في غيابة الحبّ عيناكِ
وينفرط الرمانُ ..
ينتاب أصابعي الشكُّ

وتتوسدني الريبةُ
أمام تساؤل العاج :
أيُّهما أكبرُ في لعبة الطفلِ
وابنة الجيرانُ ..
الكنزُ .

أم الخطيئةُ .. !

**

وقلت ..

يا امرأةً

سكونُها لهبُ

وصبرها عطبُ

وليلها وصبُ

شوقها قائمُ

ووجدها دائمُ

وجرحها غارمُ

اجتأحي بالطوفان سكينتي ..

**

وقلت ..

خذي سهل صدري
إرفعي عليه صاريتك
وفوق ناصية الحرف
علّقي جبيني
ومن بؤبؤ عيني
انتزعي سواعد المعنى

**

وقلت ..

دعي عرائش كرمك تغطيني
واجتاحي بقرنفل الوهاد صدري
فانا ..

لا أحب أصابع اللباب ..

**

وقلت لي ..

إذ يجفوني وجهك ..
تذبل فناجين القهوة ،

وتتكفىءُ الدلالُ ..
يا سيدةً تصلُ النورَ بالنبعِ
والوجدَ بالوجعِ
والغربةَ بالتمني :
أتسمحين بالموتِ على ضفافكُ ..!
يا امرأةً

عتبها ولع
وصمتها جزع ..
ودعوتها امثال ..
صليني .

**

وقلت ..

خذي برد وحشتي ..
في ثنايا الدفءِ
تحت أغلفة الجسدِ
فوسط الدوامِ
تنفكُ سراييني

ليغسل قدميك موجُ الأحمرِ اللذيذُ ..

**

وقلت لي ..

في الليالي الموحشةِ دثريني

بورق الجنةِ

المتساقط من أناملِكِ النبيّةِ

وهي تمسحُ بالضوءِ صدري ...

**

وقلت لي ..

هكذا أريد أن أموتَ

مدثراً بالحريرِ ..

**

وقلت ..

إلى صدركِ خديني

أحتبئُ في ثنايا الطوقِ

وألوذُ بالأسورةِ

واشتعلُ في الشناشيلِ ..

**

وقلت ..

علميني صنع قرار آخر ..
كذلك الذي اقتحمتُ به الأرضَ
مدججاً بحرائقِ الحربةِ
وبركة السماء ..!

**

وقلت ..

لإرادتكِ أسلمتُ أمري
كي نضيع مرةً أخرى
في هذه الجنةِ الوارفةِ الحريق ..

**

وقلت ..

أعيديني إلى السماءِ
مرةً أخرى
فلقد تعبتُ من الدوارِ .

**

وقلت ..

أخافُ أن يعثرَ النسيمُ

على شفّتيكِ

ولذلكَ ...

ظلتِ عناقيدُ الوردِ

مصلوبةً في شفّتي .

**

وقلت ..

دعي غزلانك تسرح في جسدي

كي لا تندثر المياهُ

في الواحات .

**

وقلت ..

دعيني أذقُ طعمَ الانعتاقِ

في أسركِ الرحيبُ ..

وطعمَ الحرّيةِ

في هذا السجنِ ذي البهاء .

**

وقلت

في ضوءِ جسدكِ غيبيني
وعلى جبينني خطّطي حرائقِ غدكِ ،
كي أظلّ مشتعلًا فيه ..

**

وقلتَ ..

دعي روحيَ مذعورةً في الصحارى
علّها تجدُ قمرًا ،
يليق بشرفتكِ الباذخةُ ..

**

وقلتَ لي ..

أخجلُ أن أقرأ رسائلكِ
وأنت نائمةٌ ..
لأنها ..
أبلغُ منها في اليقظةُ ..

**

وقلت

دعي كرسيك فارغاً
كي أتملى الضياء الذي تخلفين

**

وقلت ..

مُدِّي ذراعيك لتأخذيني
كي أُمسك بجذور الرياح ..

**

وقلت ..

لا تمدي ذراعيك لتأخذيني
كي أظلّ لاهثاً
وراء الظلال ..

**

وقلت ..

لمجاهل الوجود خذيني
كي أبحث
عن منابت ضوئك الأزلي

في الجذور ..

**

وقلت ..

انظري إلى الحدائق ،

كي يتفتح الورد ،

وترفع ذراعيها الغصون ..

**

وقلت ..

امسحي بأناملك عينيّ

كي أتعلم القراءة ..

وخذي إليك رأسي

كي يفك رموز الكون ..

**

وقلت ..

أفيضي عليّ من نورك

كي أبصر في صميم العتمة

البراهين ،

ولمواطن السرّ خذييني
كي تستيقظ الحضارات ..

**

وقلت ..

اكتبي على الصخر :
أحبك ..
كي تتعلم الأجيال حوارية الحرية ،
واهمسي في أذن الزمن
كي تنطفئ الحروب ..

**

وقلت ..

ازرعني همسك في رمل روحي
كي تطير العصافيرُ
في الشرفاتُ
وبأناشيد الحرية ترنمي
كي ينهض الشهداء في القبور ..

**

وقلت ..

خذي العراق بين ذراعيك ،
كي يغفو أطفاله الجائعون ..
وامسحي عن وجهه غبار الحرائق
كي يتواصل الهديلُ ..

**

وقلت ..

بخُصل شعرك طوقيني
فأنا ..

أحبُّ الموت بين القضبانُ
وازرعي غبارك في دمي
كي أحتلَّ متون العالم ..

**

وقلت ..

أظلي بشعرك الكون ،
كي يموت الفرسانُ بشذاه ..

**

وقلت ..

لا تظلي بشعرك الكونَ
كي تهدأ في الليالي الرعودُ ..

**

وقلت ..

رشّي عطرك على الكتفينِ ..
كي تستيقظ خلايا الوجود .

**

وقلت ..

لا ترشي عطرك على الكتفينِ
كي لا يموت الرجال بالمعصيةُ .

**

وقلت ..

لا تفوحي على الكون بعطرك
كي تلوبَ في السماء البروقُ ..

**

وقلت ..

ارقصي بغلائل الحرير حولي
كي تدور الأنهار حول الأرض ..

**

وقلت ..

بغلائل نومك سييري
كي تتحرك التماثيل في القاعات
وارفعي شفوف الحرير عن صدرك
كي يجنّ جنون الكون ..

**

وقلت ..

أغمضي عينيك
كي يكفّ اليمام عن الهديل ...
وأضيئي طرق جسدي
فقد صدئت فيه الجداول ...

**

وقلت ..

من قال لك ..

انتشليني

فانا أحبُّ الغرق في فيض العبير

**

وقلت ..

دلّيني على السرّ

يا امرأةً تزرع الحسرة في الحجر

والغيبوبة في الثمر .

والعطر في غبار الأمانى ..

**

وقلت ..

عذبيني

ففي قاع جحيمك الأزليّ،

تنفتح أبوابُ النعيم ..

**

وقلت ..

دعي التفاح مصلوباً على الأغصانُ

كي لا نقع في حبائله

مرة أخرى ..

**

وقلت ..

دعي السراب يغريني

دعيني لاهثاً

خلف أقواس قزحك البنفسجيةُ

فانا أكره أقفاص الحياء ..

**

وقلت ..

أسرجي خيولك الذهبية ،

فقد بدأ هبوب الرياح ..

**

وقلت ..

انتشري في جسدي

كي تسرح في البراري الوعولُ .
ولا تخبري الجنيات عن حبي
كي تظل الخمرة مشتعلةً في الدنانُ ..

**

وقلت ..

لأعماق البحر خذييني
فلقد تعبتُ من الحافات
وعلى صدركِ أنيمييني
كي يفيض الوجودُ بالحنانُ

**

وقلت ..

اطرقي أبواب روعي
كي ترتعش البلابلُ بالدهشةِ
وترتبك الطيورُ
وانظري إليَّ ..
كي يفتح عينيه الشعر في الدواوينُ ..

**

وقلت ..

كوني بإفراط حبيبتني
فأنا لا أخاف الدخول في الوحشة ..
وخذي بكفيك وجهي ،
كي يتساقط الثمر في البساتين ..

**

وقلت ..

أنا الخاشعُ
وثمرَةُ الجنةِ أنتِ ،
طريةً ،
وناعمةً
كسندس متقيها ..

**

وقلت ..

في زهرة الرمان خبئيني
كي تشتعل الحرائق في غصون الليل
وللعاصفة أسلمي قلبي

كي أبحث عن قلبك في الدوار

**

وقلت ..

انثري رمادي ...

بقيعان الأودية ،

وفوق القمم ..

كي تشتعل فيهما الزنايق ..

**

وقلت ..

دعي الملوك لتيجانهم

وبطراوة زنديك توجيني

كي أظل سجين العرش ..

**

وقلت ..

تعالني نتقاسم الأشياء ..

الملكوتُ لك ،

وأنتِ لي .

وللشيطان القطيعة ..

**

وقلت ..

لا تنامي ..

فانا أخافُ على أعمدة الكون ..

**

وقلت ..

نامي ..

فلقد تعبتُ في هذه اليقظةِ

من الاشتعالِ

**

وقلت ..

طيلةَ ذلك الليل الشتائي

أرقص معكِ على نغم هادئٍ

أرقص معكِ على نغم مجنونٍ ،

واذبح بك أوتار الزمن ..

**

وقلتَ ..

خذي إليك عرائشَ الزمنِ
واحذري أن تهادنيها
كي نحسن عليها التآمر هذه المرة ..

**

وقلتَ ..

ارتدي ثوبك الأسودَ
الموشحَ بالبياضِ
وضعي عليه شالك الأخرُ
كي أقرأ فيهما سفر الأزل

**

وقلت لي ..

منذ أن نصبت ناركُ خيمتها في

روحي

وحتى هذه الساعة ،

ما كفَّ الزمنُ عن الاشتعالِ ..

ومذ أقام حزنك أعمدته في قلبي

وحتى اليوم ..
ما كفت سرايينُ هذا الجسد عن
النزيف ..

**

وقلت ..

تهدمت الأسوارُ ،
وانبلجُ سرابُ الصحارى
وجمعتُ الريحُ أوراق خيبتها
وتفتقتُ جذوعُ الشجر ..
تسبِّحُ باسمِ القادمة ..
يجمع الليل عن خطوها
دموع التفاح
وعن جرحها ورد الخسائر ..
ويروي لأناملها
قصص البنفسج

وقلت ..

...

تداعيات

(١)

رَبِّي ..

أكرمني نهراً آخر ..

لأحاکم فيه الجدول

وأحاکم فيه النهر الأول ..

إذ لم يغسل جرحي ..

(٢)

أكرمني يا ربّ البحر ..

صفةً أخرى ،

فلقد ضاقت فيّ الأولى

حتى أقفلها الحراس ..

(٣)

الصخرة لاذت بالعاشقُ
فبمن سيلوذُ العشاقُ . . !

(٤)

ولدٌ مخذولٌ
خارج هذي القاعةُ . .
حين ذهبْتُ إليه ،
وزرعتُ غصوناً في عينيه
وأشرق بين يديه النبعُ . .
قال . ابتعدي . !

(٥)

قلبي وسع الدنيا
فلماذا لم تتسع الدنيا له . !

(٦)
حجرٌ منهزمٌ
رملٌ بورٌ
قلبي ،
والزمنُ المخذولُ .

نوافل الماء

في منحدر الغابة ،
فوق حرير المرمر ،
تطلع لؤلؤة سوداء . .
بين الدغل المخضّل بهمس الأشياء
أزرع مرجاني ،
أتشبّثُ عبر ممرات الريح الوسنى
جدلى برذاذ التكوينِ
يؤلفني نصاً تزرعه الألغامُ ،
يبعثرني في كل الأرجاء . . .
أهوي في قاع الكأس عروساً من زبدٍ
تمتد يداك وترفعني نحو العرشِ
نصاً . آخر .

.....

.....

في منحدرات مياهاك أحرق عطري
أتساءل عمّن صاغ تضاريس الكونِ
بهذا الوهج الفادحِ
عمن أطلق هذا النورَ على شرف الغيمِ
ومن عبّد درب الحمى للمعراجِ
أتساءل عن إسرائيلك نحوي
أو عن إسرائي في محن الأبراجِ ..
أصنعُ من غيبوبة حبي وعباً ،
من لا معرفتي علماً ..
وأجوبُ الكرةَ الأرضيةَ أغري الأموات ،
أتساءلُ عن سرِّ تموج لون صراخي
في صمت الحكمةِ
بين يديّ تضيّعُ قوافلُ نيسانَ
ويشتعل الديباجُ ..
بين يديّ تضيّعُ الأشرعةُ الخضراءُ
وينبثق العطر رموزاً وإشاراتُ ..

وحدائقَ ليلٍ ينهض فيها الموتى
جذلين بخمر البعثِ ،
وترتبك الناياتُ ..
بين يديّ طيورُ تشرب من انهار الجنةِ
تأكل من تفاح الجنةِ
أبقةً من شرك الأقفاصِ ..
وعلى سرو ذراعك تغفو المدن التعبى
سفنًا حطّت فوق مرافئ ليلٍ خانته الأجراسُ ..
ماءٌ .. ماءٌ .. ماءٌ ..
ادخل ماء الصبوةِ واجفةً
ادخل ماء الغفوةِ آمنَةً ..
ادخل ماء حنينك ..
وجهك بدر من ماء ..
وذراعك جداول خمر أشعلها
أرفعها أعمدةً للكونِ
وترفعني محراباً وعلاماتُ
وتراتيلاً يشعلها رهُفُ الرملِ ،

فتفتح سنبلهً باب غوايتها
أقطف وردة فلّ من شرفتها ،
فیهیم الحراس . .
أدخل في أروقة النور ،
فتصرعني الحمى
و أضيع بأطراف الفلوات
في عقبى الليل ،
وهاد الليل ،
خوابي الليل
ماء يروي عطب الزيتون بقلب الأرض
صراخ الأرض تهدده بسملة الماء
جروح الأشجار يداويها الماء
فتصمت أشياء ،
وتلوب سماء
هل كنت معي إذ كنت أهدم بؤس الكون
وأبني من جذع الجوز عروشا تصعد ،
تهبط ،

ترقص وسط فضاء النشوة
أرقص وسط خرير الماء ،
ويلوب الماء معي ،
أنثر دمعي ياقوتاً فوق صخور الحكمة ،
صامتةً من وجع
ضارعةً من لهفٍ ..
ترهقني الآياتُ
ما بين الومضةِ والعرشةِ ترتجفُ الكلماتُ
من يحصي قُبَلَ العشاق بقلب الليلِ . !
سألتني السعفةُ ..
قلت : خذيني ..
شجراً تأكله النيرانُ ،
وموسيقى النخل تراويلُ تؤرجحني بين السيلِ
وبين أصابع فجرٍ ،
يمسح جسمي بالنورِ
ويشعل روحي بالعطرِ ،
ينام على ليلكِ صدري ،

طوراً يهديني أرضاً وسماً .
أو يعطيني سرب يمامٍ
يغفو فوق وسادي ،
ويعلمني الصبر على وجع الصخر القابعِ
في جوف الحوتٍ . .
بين ذراعيّ يوج البحرُ ،
ويغتربُ الياقوتُ
جوهرة الصمت تلمّ شظايا موسيقى كفيك
على جسدي . .
تحصد ما تزرعه عيناك على شرف الروحِ
وفي المنعطفاتِ
نوافلَ وردٍ وصلاةٍ . .
نادتني الوردةُ . .
قلتُ : تعالي
دخلتُ جناتي ،
فتلقّفها الليلُ ،
الدغلُ

الحمى .
لمستُ كَفِّي فَعَرَفْتُ يَدِي ،
لمستُ خَدِي فَاكْشَفَ الْكُوْنُ
جَنَاناً وَثَرِيَّاتُ
لمستُ عَيْنِي فَطَارَ الْبَجْعُ الْأَزْرَقُ
حَطَّتْ فِي جِيدِي ،
فَتَمَايَلْ عَطْفُ اللَّيْلِ
وَأَشْرَقَ حَزْنَ الْغَابَاتُ
لمستُ شَعْرِي ،
فَانْهَمَرَتْ أَعْصَانُ الْمَيْسِ
وَمَالَ الْعَنَابُ . .
أَعْوَتْ أَرْدِيَةَ الْوَجْدِ بِهَمْسِ الْفَضَّةِ
أَلْقَتْ فِي رَهْجِ الْمَوْجَةِ مَعْطَفَهَا
رَاوَدَهَا الْوَجْعَ الْقَاتِلُ ،
رَاوَدَنِي
ذُبُلْتُ . .
أَغْفَتُ فَوْقَ ذِرَاعِي

.. قالتُ ..

يا ويلي .. قد وقع المخذور ..

.....

.....

اقرأ في عينيكَ سفرَ الجبل المأخوذ باليقينُ

أموت في الهضابُ

أبعث في الوهادُ

ترسلني الشاراتُ للشاراتُ ..

تحملني الغزلان للصدرة إذ تغمرني الأقواسُ

افتح في أبوابها زيتونة السماءُ

أدخل عرشاً طافياً فوق عبير الماءُ

تعود بي النهايةُ

إلى البداياتِ

فترتدّ النواعير على خطاي ..

مجروحةً بغصن ضوء أفلٍ

بوجة ذابلةٍ

وكنتَ في عينيّ دمةً تجولُ ،

كنت سرحةً ،
ونبعَ ورد نازفٍ في جرحه الزمانُ
غارقٍ في دمه المكانُ
كنت تفتح الربى لبهجة الطوفانُ ..
.....
.....
.....

حبيبي ..
تمر يدكُ كهمس السعادة فوق جبيني
وصدريَ آذارُ يفتح أبوابه للشجرٍ ..
فيغمضُ ورد المقلُ
على رجلٍ وامرأةً ..
يلمّان ما بعثرته النجومُ على الشرفِ المشرعةُ
وينبتقان مع الليل لؤلؤةً طيعةً
رجلٍ وامرأةً ..
يلمّان عن ثمر الصبر أحزانهُ ،
وعن الكون غربته الموصدة ..

....

.....

.....

بين الغوايات وبين الوتر المقطوع ..

تنكفى الدموعُ

وتنهض الرعشةُ من مكمناها

عيناك إذ تأخذني بلوعة التفاحُ

أموج في رذاذ أول الصباح ..

تشتعل الصبوة من جذورها

وتسقط الأقداحُ ..

ادخل في بهاء عينيكَ حقول الآس ..

يرعبني اشتباكُ موج البحر بالأفق .

تغمرني الأقواس بالألق

فاصعد الدوحَ ،

واستغيثُ بالجروح .

أشهق في متاهة الجمال ..

يرهبني الجلال .

أصبح .. من يعيدني للطين ..!
يلمّ عن هضابك الجذلى شظايا الروح
يأخذني من صبوة الوجدِ ،
ومن قلائد الغصون .
حولي .. تلفّ أذرع السنين
بنفسجاً وياسمين
أضحك من سكرتها
تضحك من صحوتها
نسلك درياً ثالثاً ،
وتصمت الأسئلة الماكرة
على مدى الظنون ..
.....
.....
اهرب من حبائل اللهب
أدخل بهو الأرض ..

- سيدتي ..

نامي على ذراعي ..
سنبلهً مجروحةً ، ونبعٌ
وزهرةً عاشقةً ، وشمعٌ ..
يبحث في اشتعاله عن غيمةٍ ،
عن خيمةٍ وجتةٍ
يبحث عن هزيمة تكسر طوق نصره ،
عن ساعد يضمه
عن شفة تبوح ..
سيدتي ..
هذا أوان القطف
تنزلق الأقمارُ من رذنيكِ
فالتفتي على ذراعي ..
نهرًا وأبجديةً
وكرمةً طريةً
تأخذها مني العناقيدُ إلى المنابع القصية ..
سيدتي ..
نامي على ذراعي ..

في الرقصة العصية ..

.....

.....

.....

- يا سيدي ..

بيني وبين الصوتُ

يكمن سر الموتُ

وبين عينيّ ، وبين النارُ

يشتبك المدارُ بالمدارُ ..

يضيع في الدغل يمام الندى

ليفصح النداءُ ،

أو يموت في رعدٍ ..

في غربة الجسد ..

.....

.....

تنفتح الأنهار في صدرك ،

أو تشتعل الغابات ..

تضيق في كفيّ حكمة اللغات
أكتبُ في دفاتر الزمان ما خبأه الرمانُ
ألوبُ في صدرك تحت الشجر الريانُ .
يغمرنني وهجُ الثرياتِ
على الغلائل السوداءُ
يشتعل البكاء في أصابع الفتنة ،
إذ أضيع بين الظل والضياءُ
أدخل في خيوط نورك البهي
أغالب الأحمر في علاه
يصرعني الأزرقُ ،
أرتدّ على الأصفر رملاً هائماً
في عطش الصحراءِ
حبائلُ اللهب تغريني ،
فأغري الليل بالرهانُ . .
أحوك من مشاتل الحنانُ . .
غلائلاً للقمر الذبلانُ
شعري على وجنتك الغابةُ والجمانُ

وسرُّك المشرع للعبادة ..
قلادةً تطرِّز الأفق وساداتٍ ،
وتغري القيد بالسجان ..

....

....

ياخذني الليل إلى أسرة النجوم
أقطف من ربوعها الغيوم
و أشعل النار نجمة الأخيرة
كي يصحو الندى ..

في وسن البذور

....

....

في الطلقة الأخيرة ..
يكمنُ سر الماء .

في رعشة الأصابع الخضراء
لا ترتوي من وجع القдах ..
بل تُلهبُ الجراحُ

قبل انبلاج العطر ..
ثانيةً في شهقة العبور
ألمّ عن مدارج الألواح
ما نفضته أذرع الرياح
فوق سرير الروح من زهور ..

.....

.....

بين التباريح وبين لعبة الزمان
يشتبك الرهان بالرهان
أصابعُ عشرون أم برعمان
أقطف من برقهما النيران
تنبض في ومضهما الأجراسُ
حدائق الليل ، وومض الآس ،
تفتح لي مسالك الجنان ..
أدخل في أروقة العبادة
مضاءة بالوهج القدسي ، والمهابة ..
تظلني أجنحةً ،

تحفّ بي طيوبٌ ..
فضيَّةً ،
بهيةً ..
تُسلمني الدروب للدروب .
أنتَ معي ..
تنتظم الأقمارُ في قلادةً ..
وتهبط الثمارُ من غصونها ..
تحيطُ بي ..
أنتَ معي ..
أنتَ معي ..
في رقصتي بين ذراعيكَ تدور الأرضُ ..

امراة ورجل

(١)

حينما قلتُ ابتعدُ ،
كانت دمائي
فوق كفيك تنزّ النارَ
كان الصمتُ في عينيكَ يجتاز الممراتِ
ويمتدّ إلى هاوية أخرى
وكان الليلكُ الوردِيّ يساقطُ ،
قالت ظبيةٌ مذبوحةٌ :
لا تسدلوا فوقِي الغبارَ ..
بل أعينوني على خرق جدار .

(٢)

سيدتي

يبستُ كل حمامات الدوحِ
على الأغصانُ . . .
وأنا أسمع صوتك يعطيني الشارةَ
أبصر زحف الثعبان على صخر العمرِ
فالهت خلفك سيدتي
قوسٌ من نار يخرق ظهري
أتلقتُ أبصر في الإعصار أعنة خيلٍ تجري . .
وأرى عينيكِ على برج النار . .
ترقب ما تركته الريحُ على الأشجار .

الملكات...

كانتُ إذا هدل النشيدُ القرطبيُّ
تربعتُ عرشاً
وأغرّتُ قادةً . .
وتهياتُ للموت قبل الفجرِ ،
كان الليلُ يأخذها إلى حِصنِ دفيِّ ،
كانت الأجراسُ تحرسُ لاعجاتِ كرومها
من ثعلب يصبو ،
وثعبان يجوسُ
في الليل تبتدئ الطقوسُ
شجراً سماوياً وأجنحةً ،
وهمسا لؤلؤياً . . .
في الليل تدنو من أهلتها الغصونُ
تظلُّ أعمدة الوجودِ ،

وتنثر المرجانَ حولَ بهائها ،
كان الرجالُ يرتلونَ الحمدَ
حولَ غيومها ،
وهلالها التاجُ السنيُّ
فضاؤها الأرضُ البهيَّةُ
أينما رحلت مواسمها
فموعدها القطافُ . . .
.....
لا ماءَ يا شجرَ الضفافِ
لا ماءَ إذ يستيقظُ الفقدانُ
والخسرانُ ،
كوكب روحها يرتدُّ ،
ينبلج الدجى عن صبوةٍ
أو شبهةٍ ،
أو وحشةٍ
في الليل تنطفئ العروشُ
تتساقط التيجانُ

والحللُ البهيةُ في الزوايا . . .
في الليلِ ،
لا عسسُ تراقبُ أدمع الملكاتِ ،
لا حرسُ يؤدون التحيةَ ،
لا جوارِي تنثر الأَغصانَ
حول مسيرهنَّ
الليلُ يشهدهن أغرابا ،
سبايا
في الليل تنسحب الممالكُ ،
والمواكبُ ،
والجيوشُ
في الليل تنكفي القلائدُ ،
والأساورُ ،
والشموسُ
في الليل كلُّ مليكةٍ تبكي لواعجها ،
وتبكي وحشة الديباجِ
لا كفُ تبعثرهُ ،

وترثي رقصةً ما تمّ فاصلها ،
تُحاور مُلكَ مرمِرها ،
وبوحَ هديلها ،
ومواجهَ القداحِ تنهضُ
من سواعدها ..
تلمَّ حرائقَ الرمانِ من دمها
ووسوسةَ الكؤوسِ
في الليلِ ينكشفُ الدجى
عما يغيّبُ سرُّها . . .
عن محنةٍ مضمفورةٍ بالوجدِ ،
يُغريها الرهانُ
ولا عزاءُ
يا ريحُ للملكاتِ
إن يصحُ النداءُ . . .

القصيدة

ماذا يبكيك بُعيدَ عناق الأشجار ..
وهبوب نسيم الواحات ..
على عرقٍ يتصبَّبُ من كتفيك .. !

.....

ماذا يبكيك بُعيد سقوط الثمر الوردِيّ ،
يطرُّز شرفة رقصٍ أندلسيٍّ ..
في الفجر ،
ويغمضُ عند بزوغ الأنهار ..
عينيك .. !

.....

ماذا يبكيك .. ؟
وقد هبَّ البركانُ ..
يجتثُّ عروق الأرض الظمأى ،

فتدورُ الأقمأرُ ..
حول إشارات تطلقها كفاك ..
عبرَ ضباب التكوينِ ! ..

.....

ماذا يبكيكِ . ؟
وخصركِ بين يديّ ،
ونارُ الحبِّ تضيء الليل السكرانَ
بوجنتك الزهراءِ ،
وقلبي :
كرةٌ في كفِّ الإعصارِ ..

.....

ماذا يبكيكِ . ؟
وقد سكن الزلزالُ ..
واسترخت فيه غلائلك الذهبيةُ ،
فاح سريرُ النارِ ،
واقفل دغلُ الروحِ ..
شباكهُ خلف يمامٍ مجروحٍ ..

.....
ماذا يبكيك . ؟
وهذا الشوقُ الضاري
في منفاه
يحفرُ فوق الأشجار أساهُ . .
ويعرِّي قلبَ الريح . .

.....
ماذا يبكيك ،
وقد هبَّ الشبو الليليُّ . .
وأوصدت الأبوابُ . !

الأغنية الجبلية

الأغنيةُ الجبليةُ ..

تعدو فوق الغيمِ

وتشدو للغزلانُ ...

الأغنيةُ الجبليةُ ..

تضحك في عرسِ الشمسِ

وتسخر من وجه الزمنِ الذبلانُ ...

....

الأغنيةُ الجبليةُ

هبطت من كف الأفقِ ،

إلى حضنِ الأبديةُ ..

....

الأغنيةُ الجبليةُ ..

ترعى بقطيعِ الظبيِ الجذلانُ ،

تعطي للريح عباؤها
و تعري صخر الأيام ..
أبصرها امرأةً بذراعي نارٍ ،
وبعيني جُنارٍ ،
وجناح يمامٍ

**

الأغنية الجبلية ...
تضحك من سر الكون ،
وتقول انهض للنبع
وسافر للون ..
أبصرها في وهج اللحظات
وفي غيم الروح
سرا يعدو عبر القصبان ..
تطلق في غابات الليل شرارتها ،
تعطي الأشجار إشارتها ..
لكن في عز توهجها ،
سقطت نحو الوديان ...

التفاحة

كانت تفاحةٌ رُوحِي
تنفّخُ عن وهجٍ مرٍّ
فتبعَتُ التفاحةُ ،
أغرّنتني بالصحراءِ ،
فتهتُ زماناً ،
ثمّ أويتُ لأولِ واحةٍ ،
كان السعفُ يظللُ رُوحِي ،
بسيوفٍ من نارٍ
والصّبّارُ يسوّرُ خطوي ،
الريحُ تمجّ لهيباً ،
والأمواجُ تمدّ ذراعاً . .
تكتبُ ،
تمحو . .

جاء نبيؐ ،
أبصرَ ..
أغضى ،
كابداً ..
لكنْ ..
لم يُسلم هذي المرة ،
للصحراءِ ،
ذراعهُ ..

غرناطة

أراهنُ أنكَ مثلي
تهزُّ جذوع الأمانِي
وأنكَ تعرفُ أن الطريقَ
إليها مجرَّحةٌ
والقطار الذي لا يقلُّ سوى
فارغاتِ المقاعدِ
لن يتوقفَ إلا على بابها . .
إنها الآن تنبئُ فرسانها
بالرجوعِ إلى دربِ غرناطةَ
الصقرُ يحمل نخل الجزيرةِ ،
يحملُ وهج الترابِ إلى أرضها
فتفوح الخزامى ،
ويشتعل الشاطئُ ،
الليلُ منكفيُّ ،

والوساوسُ تصرعها ..
والهواتفُ تضربُ في كلِّ ركنٍ ،
هي الآن تشعل أوراقها ،
كلُّ هاجسةٍ ،
تستجيرُ بأخرى ،
ووجهك خلف السنين
يشبُّ حيناً ..
ويخلعُ من شجر العمر أشواكهُ ،
آه .. (يرما)
يخضُّ الحنينُ دمي ..
فيحشرج في عنقي وجعاً
أستريبُ ،
أمدَّ يديَّ إليه ،
فيرتدُّ ..
أعدو ..
يغيبُ ..
يخلفُ لي كأسه الفارغة ..

الوحشة آتية..

أهداني الرجل الصمتَ ،
وأهديته الخمرة ..

*

لا تتلفتي ..

وراءك ذئبٌ ..

لا تتقدمي ..

أمامك هاويةٌ ...

كيف ستفصح الوردُ عن جرحها إذن . !

*

الحديقةُ بكامل زينتها ..

لكنّ الشرفة تتأوه ..

*

كلما انهمرت الصواريخُ
تذكرتُ وداعة جدتي ..
كلما نزل الجرحُ ،
اتكأتُ عليه السكينُ ..
كلما استيقظ نبع الحرية ،
أوقفته السلطةُ عن العمل ..

*

لماذا تتحاور الصواريخُ
ويصمت الحبُ . !
لماذا تعربد الريحُ
وينكفي النسيم
لماذا أفتح البابَ فتدخل القطيعةُ . !

*

الحب كالموهبةِ ،
طفلٌ ذكيٌّ مدللٌ ..
يرفض رعاية قلب واحدٍ ..
آه .. بائسٌ هو الحبُّ

إذ يتعذب فيه طرفٌ بمفرده . .

*

كلما طرقتُ البابُ على نجمٍ

انفتحتُ لي هاوية . .

*

النهارُ تقطعه مديّةُ الضوضاءِ °

ومديّةُ الليل تقطعُ الروحَ . .

*

أطرقُ البابُ على الغدِ

فيخونني الحنينُ . .

*

كلما كسرنا قيّدا

صنعنا قيّداً آخرَ بأيدينا . .

*

البؤسُ لمن أشعلَ الدمعَ

في عيون الشجرِ . .

*

النهر جوفٌ فارهُ ،
لكنه بلا ماءً .

*

تنهض المدينةُ في الليلِ
تبكي وحشةً أرصفتها . .

*

ضفائر الغيمة معلقةُ
على النجوم ،
تحجب ما يتناثرُ من ذاكرةٍ عبيرها . .

*

أيها الغدُ لا تخفُ . .
فالوحشةُ آتيةٌ .

ريثما تهدأ العاصفة

أمس كنت تفتح نوافذ بيتي
تتأمل ما يتناثر من شذرات الضوءِ
على الكتب والأرائك ،
تسكب قهوتي في سندان الوردِ ،
وتصبّ لي خمراً ..
فيسكر الوردُ ،
وتدور الغزاة الواكنةُ
في لوحة الجدار ..
ينساب نهرٌ في الحديقة الجذلي
وعلى رقص الشجر ،
يتدلى رأسك غصن حنانٍ
في ضوء زندي ...
**

بالأمس كنتَ معي
تُرتبُ لي وصايا أبي ذر ،
وخطبَ مارا ،
وقصائدَ هولدرلينُ
لكنني أتذكر الآن أنك لا تعرف بيتي
ولم تزرني فيه قطُ . .

المعارك الصامتةُ التي كثيرا ما تنشبُ
بيني وبينكُ . .
تنطفئُ بهمسة وردة عصيةُ ،
وغامضة العبير . .

مثل كلمةٍ مدونةٍ على الورق . .
لا استطيعُ مغادرتكُ . . .
هل تستطيع تفكيك النسيج بإتقانُ ،
سيغدو شيئا غير النسيج إذنُ .

لا تصدقهم .. جميعا ..
لا البنيويين ولا السيميائيين ،
ولا أهل التفكيك .
صدق النصَّ وحده ..

**

لنصمتُ قليلا ..
ريثما تهدأ العاصفة ..
هل ستهدأ العاصفة .. !!

المحنة..

غيمةٌ من عبيرٍ ..
تدورُ بأرجاءِ بيتي ...
تؤطرها الجدرُ المرمريةُ
يسجنها السقفُ ،
تهبطُ فوقِ جيبيني ..
تنالُ من الشكِّ ،
تبحثُ إذ تستديرُ مكبلَةً عن يقينٍ ...
أفتحُ البابَ علَّ الطيورَ التي هجرتني ،
تعودُ إلى جرفها ..
أفتحُ البابَ
علَّ الغمامةَ تخرجُ من سجنها ،
ولعلَّ العبيرُ يداهم آخرَ جمرهٍ
ليفوحُ اللهبُ الأثيرُ ..

في يمام الجسد .

.....

ألعيون التي أغمضت لتنام . . .

وجدت عالماً يتفتّح فيه الصنوبرُ

عن محنة ،

وجبالٍ مخضبةٍ بدماء الرياحين ،

عن جنة ،

وجداولٍ من لهبٍ أبيض ،

عن قواريرٍ خضراء ،

خمرتها غضةٌ ،

عن عيون يراودها لؤلؤٌ مستحيلٌ . .

الهلال الدليلُ . .

على ضفة النهرِ

يطلع من صوته خنجرٌ ورسولٌ . .

وسيدةٌ من لظى ،

تتأرجح بين الوثوبِ ، وبين الأفولِ

ويسألها : هل بدأنا . .

فيوقظُ محنتها وتُدارُ الشمولُ ..

.....

سيدتي ...

مربكةٌ وظيفه الدليلُ ..

محروقةٌ أصابع الأزميلُ

الشوكُ فوق تاج امرأة العزيز ..

ينبئُ عن عاصفة تلوحُ ...

وشاهدٍ مجروحٍ ..

يوسفُ في الحبِّ أم السيدة المليكةُ ...

تبحثُ عن أريكةٍ ..

لاثنين .. مأخوذَين بالوجدِ وبالقطيعةُ ...

يوسفُ .. أم أصابع العذراءُ

ترفع عن غمامة المساءُ

رداءها ..

فتسقط الظلالُ فوق غرة القتيلُ

الشجرُ الهاربُ من غابته ييبحُ ...

بأخر الجروحِ ..

أصابع الدوال . .
محروقةٌ تسقط في الظلال . . .
ناعورها يلوبُّ من منغىِّ إلى زوالٍ
تنهض من محنتها مريمٌ في الألواح . .
تدراً عن وليدها لوافح الرياح .
تُعدُّ من جديدٍ . .
متكأً . . وتقفل الأبواب . .

غابة

سيدةُ خضراءُ
تلتفُّ بالرياشُ ..
تخرجُ من سياجها
أصيلَ كلِّ يومٍ ..
في جولةٍ حولِ النهرِ .
تمدُّ كفيها إلى الأفقِ
حيث الدم الأصفرُ في الشفقِ ..
يلطخ المساءُ ..
تكتئبُ السيدةُ الرصينةُ .
تقذفُ في جدولها حجرَ
وتدخلُ السياجَ بانكفاءٍ .

دخان..

دخانٌ يعكّرُ زادي

.. دخانٌ ..

يعكّرُ صفو شرابي

.. وحين تجيء الليالي ..

أنامٌ على وردةٍ

.. من دخانٍ ..

رؤيا

خلخالٌ جالٍ ،
غبار الروح تبعثره الريحُ ،
فيرتبك الكونُ ..
منضدةٌ فارغةٌ
أبهةٌ خرساءُ ..
وامرأةٌ تطفئُ جمرةَ عيني
فرس الصحراءُ
والعجز يحاصرُ كلَّ مجاز الشعرِ ،
يحاصر كلَّ الأشياءِ .
رأسٌ فوق السورِ يفتش عن رؤيا
عن جسدٍ ،
أو جيد يتشكّل فيه ،
انكسر الفعلُ الماضي بغيابِ الحاضرِ

وانفلتت كلَّ الأسماءُ ..
تبحث عن آتٍ لا يأتي ،
عن آتٍ يعرف سرَّ اللعبةِ
يقفز ظبي الموج ،
إلى حُضن الشيطانُ ..
والصبرُ يسرَّح شعر الدمعِ
العالقِ بالأجفانِ
لا أحدٌ يدرك سرَّ اللعبةِ ،
إلا من خبير اللعبةِ
وانحلَّت بين يديه القضبانُ ..

الليل..

هذا دأبك ..
ما خاتلت
ولا كذبت الرؤيا
منذ اختار الله الكون
بيتاً للأشياء ،
ومنذ غزاك الإنسان
وجرح فيك جذوع النخل ..
ما أوهنك الصبر ،
ولا أوهتكَ الحكمة ..
كان الجرحُ يغور بصدرك
كان التفاحُ الأصفرُ
يهوي رملاً حولك ،
لكن ..

ما قلتَ .. جرى الماءُ
على ظبيٍ مذبوحٍ ..
يا شيخِ الكونِ
أهذي حكمةً هذا العصرِ
أم ان الحكمةَ مربةٌ في جلبابك
حولها الأبناء ..
كرةً تتقاذفها الريح ..

لواعج

إلهي ..

إله السماء

نَجْنِي من لواعج رُوحِي
ومن شَهَقَاتِ بُرَاقِ بَصْدْرِي
ومن حَشْرَجَاتِ جِرُوحِي

إلهي ..

خذ الشوقَ مني

وأطفئِ بنوركِ ناري

وأطلع بقلبي نخلةَ أمنٍ
وأسكتُ سعيرَ الجوى في قراري
إلهي يمرّ الخليون قربي ،

فتجفل رُوحِي

وتعدو بها الخيلُ والصبواتُ

ويختلط الفجرُ بالهَبَواتُ . . .
ويفتح قلبي ذراعيه نحوكَ . . . :
أطلقْ عناني ،

إلهي ..

دع الليلَ ينسابُ مثلَ المياهِ بروحي

ومثلَ الغصونِ

يرفّ نهارِي ..

أعنيّ إلهي على شظفِ اللحظاتِ

ووخزِ الزمانِ ..

ودع لوعتي تستريح

على سدرَةٍ

وأعنيّ على صبواتِ الرهانِ ..

إلهي ..

إلهي ..